Rihan Journal for Scientific Publishing
ISSN:2709-2097 www.rjsp.org
مجلة ريحان للنشر العلمي
Issue 32 (2023) PP 228:241
2023-02-28

التوسّع الدّلالي في العربية ـ أسلوب الترادف أنموذجا ـ بين ابن فارس والثعالبي

Semantic expansion in Arabic

The tandem style as a model - between Ibn Faris and Al-Thaalibi

فاتح طعمة

طالب ماجستير، جامعة سلجوق، قونيا - تركيا

Fateh TOMEH

Graduate Student, Selçuk Üniversitesi, Konya - TÜRKİYE

Email: fatih.tomeh@gmail.com

https://orcid.org/0000-0001-5487-8968

الملخص

يسعى هذا البحث إلى بيان أهمية أسلوب الترادف في اللغة العربية من الجانبين اللغوي والدلالي بصفته واحدا من عوامل التوسع في اللغة العربية، إذ يسهم في زيادة المعاني في العربية. وتنبع إشكالية البحث من محاولة عقد مقارنة أسلوبية للترادف عند عالمين لغويين كان لهما أثر بارز في التنظير لفقه اللغة العربية هما أحمد بن فارس وأبو منصور الثعالبي. ولأجل تحقيق هذه الغاية اعتمد الباحث المنهج الوصفي في بداية بحثه ليصف من خلاله مفهوم الترادف ويعرض أهميته، ثم لجأ إلى المنهج المقارن لبيان الفروق الجوهرية بين مذهبي ابن فارس والثعالبي في النظر إلى أسلوب الترادف اللغوي. واقتضت تلك المنهجية تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة؛ المبحث الأول تناولت فيه آراء العلماء في الترادف، وفي المبحث الثاني عرضت أسباب ظهور الترادف في العربية، ثم ذكرت في المبحث الثالث فوائد الترادف. وتوصل البحث إلى جملة من النتائج نذكر منها أن أسلوب الترادف يعدُّ ثروة لغوية يمكن توظيفها في تعليم العربية للناطقين بها، كما يمكن توظيفه لتعليمها للناطقين بغيرها وذلك في المستوى المتوسط، وبيّن البحث أن الترادف عامل مهم في توسع العربية وغناها من الجانبين الدلالي والمعنوي، وأوصى بضرورة الاهتمام بفقه اللغة وبيان خصائصه الجمالية.

الكلمات المفتاحية: الترادف، التوسع الدلالي، فقه اللغة، المعاني، الألفاظ.

Abstract

The aim of this research is to show the importance of the synonym style in the Arabic language from the linguistic and semantic side as one of the factors of expansion in the Arabic language, contributing to the increase of meanings in Arabic. The problem of the research comes from the attempt to make a stylistic comparison of the synonym of two linguists who had a prominent impact on the theorizing of Arabic philology, namely Ahmed bin Faris and Abu Mansour Al-Thaalbi. To achieve this goal, the researcher adopted the descriptive approach at the beginning of his research to describe the concept of synonymy and present its importance, then followed the comparative approach to show the fundamental differences between the way of both Ibn Faris and Al-Thaalibi in looking at the style of linguistic tandem.

This methodology required the division of the research into an introduction and three main sections; the first section dealt with the views of scientists in tandem, and in the second section presented the reasons for the emergence of tandem in Arabic, and then mentioned in the third section the benefits of tandem. The research reached a set of results, the tandem method is a linguistic treasure that can be employed in teaching Arabic to native speakers, and to non-native speakers at the intermediate level. The research showed that tandem is an important factor in the expansion of Arabic in terms of significance and meaning, and recommended the need to pay attention to philology and the statement of its aesthetic characteristics.

Keywords: Tandem, Semantic Expansion, Philology, Meanings, Pronunciation.

المقدمة

كان اهتمام العلماء السابقين بفقه اللغة واضحا، إذا ما قيس في وقتنا المعاصر، وهذا العلم ليس كباقي علوم العربية الأخرى، فهو يحتوي على جماليات اللغة العربية وخصائصها وأسرارها وروحها. ومن يتعمق فيه يشعر بجمال اللغة وتفوقها، وطرائق العرب في كلامها وما يميزها عن باقي اللغات. ومن أهم الموضوعات التي تنضوي تحت فقه اللغة الترادف الذي يغني العربية من جانب الدلالة والمعاني، وفي هذا البحث سيتناول الباحث أهم ما قيل فيه قديما وحديثا، ويسلط الضوء على أهميته لتحفيز الباحثين وتشجيعهم ليكتبوا فيه، ولاستخدامه في حياتنا العلمية.

هل تكلم العلماء قديما وحديثا عنه، هل اعترفوا به وبوجوده في القرآن الكريم وفي كلام العرب، ما أهم الآراء التي طرحت في هذه الموضوع.

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل من أهمها:

1. بيان أهمية أسلوب الترادف اللغوي في إغناء اللغة العربية بكمٍّ من المفردات المترادفة التي تزيد من إمكانية التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ وأساليب مختلفة.
2. عرض وجوه الاتفاق والاختلاف بين علماء فقه اللغة في النظر إلى أهمية الترادف وأثره في تجويد الأساليب اللغوية وتنوع إمكانية التعبير فيها.

3. التركيز على مكانة أسلوب الترادف وخصائصه الجمالية عند عالمين لغويين بارزين هما أحمد بن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة)، وأبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية).

إشكالية البحث

ترتكز إشكالية البحث الرئيسة في ملاحظة التباين لدى علماء فقه اللغة في النظر إلى قضية الترادف اللغوي؛ حيث اتخذ العلماء موقفين متباينين فيه، الأول الرافض لوجوده والمنكر له، فاللغة العربية دقيقة في ألفاظها ومفرداتها ومعانيها، كل لفظة تعطي معنى محددا، كل لفظ يدل على مسمى بعينه، دون أن تتجاوزه، وعد هؤلاء العلماء أن هذا انتقاص في العربية، أن تؤدي لفظة معاني عديدة أو يكون ألفاظ متعددة لمسمى بعين. وإن كان هناك لفظان يدلان على مسمى واحد فهذا مما يُتوهم ويُظن وهو ليس كذلك، فربما يكون صفة لحالة من أحواله كالمهند للسيف مثلا، أو تكون هذه اللفظة لغة في قبيلة تدل على مسمى، وفي قبيلة أخرى تدل على المسمى نفسه كلمة أخرى، أو تكون صفة لهذا الاسم ومع الوقت نسيت هذه الصفة وأصبحت تدل على المسمى بعينه.

وفي الجانب الآخر فريق من العلماء المتقدمين والمتأخرين أخذوا بالترادف وتركوا الباب على مصراعيه، وقالوا بوجوده وبكثرة. والباحث سيقف بين الاثنين موقفا وسطا توافقيا، آخذا بعين الاعتبار وجوده في العربية وكيفية الاستفادة منه واستثماره هو وباقي الموضوعات الأخرى في فقه اللغة وأساليب العرب في كلامهم، وخصائص العربية وأسرارها.

أهمية البحث وسبب الاختيار

كما ذكرت سابقا فإن الترادف من الموضوعات التي شغلت مكانا في كتب السابقين وأخذت حيزا في مؤلفاتهم، بين أخذٍ وردٍّ، وحاول البحث تسليط الضوء على هذه الآراء وكيف تجلّت في كتابي (الصاحبي في فقه اللغة) لابن فارس، و(فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي، وعلى الرغم من وجود إشارات كثيرة عن الترادف في طيات الكتب، لكنه لم ينل حقه الوافي، كما فقه اللغة لم ينل حقه، فكان لزاما على الباحث أن يتناوله ويشير إلى أهميته وطرق استخدامه في اللغة.

الدراسات السابقة

سنعرض لأهم الدراسات السابقة التي اطّلع عليها الباحث حول موضوع الترادف، ومنها: دراسة إبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة)، والدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابَيه (فقه اللغة، وعلم اللغة)، والدكتور صبحي الصالح في كتابه (دراسات في فقه اللغة)، والدكتور عبده الراجحي في كتابه (فقه اللغة في الكتب العربية). وقد استفاد الباحث استفادة قصوى من هذه المؤلفات

ومن إيرادهم لموضوع الترادف، وكيف تناولوه في كتبهم وما ذكروه من آرائهم فيه. أما الاستفادة الأكبر فكانت من دراسة نقدية لكتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس لصاحبته بسمة عودة سلمان الرواشدة وهي رسالة ماجستير.

الصعوبات التي اعترت العمل

ربما كانت الصعوبة الأكبر الخوض في بحر علمي عميق ودقيق مثل علم فقه اللغة، إضافة إلى قلة الأبحاث التطبيقية التي تناولت الترادف وعرضت له، ولا سيما رسائل طلاب الدراسات العليا، ويعزو الباحث سبب ذلك إلى صعوبة هذا التخصص ووعورة الولوج إلى خفاياه والتمكن من قضاياه المتشعبة، أو أنه علم أصبح قديما من وجهة نظرهم، وقد طغى عليه علمٌ جديد مستورد من الغرب هو علم اللغة، أو لعدم مقدرة بعضهم على تذوق هذا الفن والغوص في بحور العربية وجني جواهرها ومكنوناتها، والتعرف على أسرار هذه اللغة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لغة للقرآن العظيم.

منهجية البحث

جمع بين منهجين أساسيين الأول المنهج التحليلي واعتمدت عليه في تحليل الآراء الواردة ومناقشتها، والثاني المنهج النقدي، لتمحيص ما يعرض من آراء ونقدها.

1. تعريف الترادف وآراء العلماء فيه

هو وجود ألفاظ لها المعنى نفسه، ويمكن أن نستخدم لفظة مكان الأخرى دون تغير المعنى العام، مثل كلمة الأسد والليث، وبعض الأفعال مثل جاء وأتى وحضر.

أو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد، أو ما اختلف لفظه واختلف معناه، أو يمكن أن نطلق عدة كلمات على مسمى واحد، مثال ذلك: الليث والضرغام للأسد، وعقار وصهباء وقهوة للخمر، والبر والحنطة للقمح الحبة المعروفة، والحسام والمهند واليماني للسيف، والشهد وريق النحل وقيء الزنابير للعسل[1].

والعربية من أغنى اللغات بالمفردات والمرادفات، فالسيف له ألف صفة أو اسم، والأسد له حوالي خمسمئة صفة أو اسم، والثعبان له مئتان، وهناك كثير من الأسماء التي عرفها العربي في حياته في الجاهلية وكان على احتكاك بها بشكل دائم، فكان لها نصيب من التكرار فأطلق عليها صفات تدل عليها في كل حال من أحوالها، مثل الداهية والناقة والمطر، والصفات مثل طويل وقصير وبخيل

[1] انظر: يعقوب، *فقه اللغة العربية وخصائصها*، 173.

وكريم، وما يذكر في هذا المقام ما جمعه أحد المستشرقين من المفردات المتعلقة بالجمل فوصلت إلى ما يقرب خمسة آلاف وستمئة وأربع أربعين صفة أو اسما وأحواله.[2]

1.1 الترادف عند ابن فارس

ذكر ابن فارس الترادف والمشترك اللفظي معا، لكونهما متقاربين، ولكن تكلم عن المترادف بشكل موسع، فقال في (باب الأسماء كيف تقع على المسميات) "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة. نحو: "السيف والمهند والحسام"[3]. ثم أخذ يعرض رأيه والآراء المخالفة له حول القضية، تكلم عن الموضوع بشكل واسع، ورأيه في ذلك، كرأي شيخه أبي العباس ثعلب، ألا ترادف في العربية فلكل اسم معنى، ولا يمكن أن يكون لشيء لفظان أو أكثر، يقول مبينا رأيه: "والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى".[4] ثم أخذ يعرض رأيه المخالفين له: "وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد. وذلك قولنا: سيف وعضب وحسام".[5]

وبرأي ابن فارس ليس هناك أسماء متعددة للشيء الواحد، بل هي صفات، كالمهند والقاطع فهي صفات وليست أسماء للسيف. بل حتى في الأفعال أيضا قال: ألا ترادف، فمعنى قعد غير معنى جلس، ومضى وذهب، ونام وهجع، يقول: "وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى وذهب وانطلق. وقعد وجلس. ورقد ونام وهجع. قالوا: ففي (قعد) معنى ليس في (جلس) وكذلك القول فيما سواه".[6]

ولكن أيضا ماذا نقول في بعض الأحيان عندما نستخدم كلمة مكان كلمة دون تغير في المعنى ككلمة النأي والبعد، أو الريب والشك، هل إذا استبدلنا الشك بدل الريب يتغير المعنى، أو يكون خطأ؟! يقول: "واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه: لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته. وذلك أنا نقول في (لا ريب فيه): (لا شك فيه) فلو كان (الريب) غير (الشك) لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ. فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد."[7]

---

[2] انظر: يعقوب، *فقه اللغة العربية وخصائصها*، 174.
[3] ابن فارس، *الصاحبي*، 59.
[4] ابن فارس، *الصاحبي*، 59.
[5] ابن فارس، *الصاحبي*، 59.
[6] ابن فارس، *الصاحبي*.
[7] ابن فارس، *الصاحبي*، 59–60.

ويرد عليهم ابن فارس بمنطق قويم ودليل قاطع، أن الجلوس غير القعود فالجلوس من الأسفل أما القعود فهو من الأعلى، يقول: "ونحن نقول: إن في قعد معنى ليس في جلس. ألا ترى أنا نقول "قام ثم قعد" و"أخذه المقيم والمقعد" و"قعدت المرأة عن الحيض". ونقول لناس من الخوارج "قعد" ثم نقول: "كان مضطجعا فجلس" فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأن (الجلس: المرتفع) فالجلوس ارتفاع عما هو دونه. وعلى هذا يجري الباب كله".[8]

فابن فارس دقيق في استعمال الكلمة، ولها معنى واحد في وجهة نظره؛ فالمائدة تقال حين يكون عليها طعام، وإذا لم يكن عليها طعام فهي خوان، والكأس يقال حين يكون فيه ماء، وإلا فهو كوب أو قدح. وهذا ليس مستبعدا عن ابن فارس فهو عالم حصيف يعرف الفروق الدقيقة للألفاظ.

1.2 الترادف عند الثعالبي

والثعالبي لم يفارق ابن فارس في ذلك كثيرا، بل ربما تناوله بشكل أدق، حيث يروي لنا الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وكيف يختلف المعنى بتغير اللفظ. يروي عن أبي عبيدة: والذي نظنه من المترادفات حين نقرأ (الباب الثالث في الأشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها).[9] فحين تقرأ هذا الباب ستغير رأيك حتما في أنه لا بد من فروق معنوية بين الألفاظ، انظر إلى هذا التفصيل، يقول: "لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب وإلا فهي زجاجة، ولا يقال مائدة إلا إذا كان عليها طعام وإلا فهي خوان"[10]، وهكذا دواليك.

ولا بد أنك بعد قراءة فصول هذا الباب ستتريث زمنا قبل نطق أي كلمة، وأن لكل كلمة معنى ليس في الأخرى وإن تُوهّم الترادف، لكن لا أحد يتكلم آخذا بعين الاعتبار هذه الفروق المعنوية خاصة في زمن أصحاب اللغة والمختصّين ذاتهم. إن هذه الفروق يلجأ إليها في تفسير كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ أو البلغاء والشعراء والعلماء، فإن كل كلمة تكون في مكانها ولا نستطيع استبدال كلمة مكان أخرى خاصة في القرآن الكريم، أما في زمننا هذا فقلما يعرف هذه الفروق أحدٌ إلا عالم فذٌّ. أقول فهذه الفروق كان لها وقتها عند علماء جهابذة، وللترادف زمانه، وله سمة جلية واضحة في العربية وسعة معانيها وألفاظها، إننا نلجأ في شرح معنى لفظة إلى لفظة معروفة للسامع أو المتلقي حتى يعرف معنى الكلمة الغريبة.

---

[8] ابن فارس، *الصاحبي*، 60.
[9] الثعالبي، *فقه اللغة*، 34.
[10] الثعالبي، *فقه اللغة*، 34.

1.3 المنكرون للترادف

يرى أصحاب هذا الفريق أن كل ما يظن أنه من المترادفات ليس كذلك، بل هو من المتباينات والمختلفات، وقد يكون صفة للاسم او اسما آخر له. حيث اتفق جماعة من علماء اللغة على إنكار وجود الترادف، ويأتي على رأسهم ابن الأعرابي، حيث يقول في ذلك: "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، وثعلب الذي يقول: إن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات".

وفي هذا الجانب ألّف أبو هلال العسكري كتابا سماه (الفروق اللغوية) ليثبت لنا الفروق بين الألفاظ، وأن كل لفظ يحمل معنى خاصا به وليبطل الترادف، يقول: "وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يكون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن في ذلك تكثيرا بما لا فائدة منه". فكما أن أبا هلال العسكري ينكر الاشتراك اللفظي كذلك ينكر الترادف ويعد أن الترادف لا فائدة منه، وأنه يكثر اللغة، فهذا جانب إيجابي في اللغة وليس سلبيا.

ومن القصص التي تروى وذكرها السيوطي في كتابه وغيره، يقول: "حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا، وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم، وكذا وكذا؟ فقال أبو علي: هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة".[11]

وذهب بعضهم كابن درستويه، وثعلب، وابن فارس، إلى إنكار الترادف بالمعنى الشائع من تساوي لفظين، أو ألفاظ في معنى واحد لأن كلا من تلك الألفاظ يوجد فيه فرق معنوي لا يوجد في الآخر، ودليلهم على ذلك أن تساوي عدة ألفاظ في معنى واحد عبث لا يليق بلغة القرآن والعرب الحكيمة. قال ابن درستويه: "محال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق فظنوا أنها بمعنى واحد وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم"[12]

ويرى بعضهم أن الترادف غير موجود في العربية، ولكن أرباب المعاجم هم الذين اختلقوه ودليلهم أن اللفظ الواحد يؤدي المعنى المراد وهذا واضح في اللغات العامية فليس بنا حاجة إلى دلالة

[11] السيوطي، *المزهر*، 318.
[12] السيوطي، *المزهر*.

أكثر من لفظ على هذا المعنى، وهذا الرأي فاسد لأنه يتهم علماء اللغة ورواتها بالاختلاق والكذب وهم من تلك التهمة براء، لأنهم قد جمعوا اللغة عن العرب الخلّص ومن القرآن والحديث وقد كانوا على درجة من الورع يمنعهم من التورط في الكذب إلى جانب دقتهم الفائقة في الأخذ وقد أخذنا عنهم اللغة كلها، فكيف نقبل منهم بعضها ونتهمهم في الباقي؟[13]

ومن المنكرين المحدثين بشدة نجد محمد مبارك، حيث يرى أن "الترادف آفة على اللغة العربية لأن الألفاظ لها معانيها الخاصة، وأن هناك فروقا دقيقة وظلالا رقيقة بين الألفاظ المترادفة".[14]

1.4 المثبتون للترادف

نرى في الطرف الآخر فريقا أثبت الترادف واعترف بوجوده وأطلقه على مصراعيه، كأسماء السيف والعسل والذهب، ألفاظها مختلفة ومعناها واحد، ويقول هذا الفريق إن الترادف يكون في قبيلتين أو أكثر، وكل قبيلة تضع اسما للمسمى نفسه، والقبيلة الأخرى تضع اسما آخر، وبعد مدة يشتهر الاسمان بين الناس، فيصبح استخدام أحدهما مكان الآخر، مع إمكانية وقوع الترادف في قبيلة واحدة لكنه قليل الوقوع على حد قولهم.

كما توجد بعض الألفاظ التي لا فروق بينها خاصة في الأسماء الجامدة كالعير والحمار والبر والقمح والحنطة فلا فروق بين تلك المترادفات؛ فاللفظان الأولان موضوعان للحيوان الناهق، والألفاظ الأخيرة موضوعة للحبة المعروفة دون ملاحظة فروق معنوية. ووجود مترادفات بينها فروق لا يؤدي إلى إنكار المترادفات كلها، بل إلى إنكار طائفة منها فحسب. على أن الألفاظ التي اتضحت فيها تلك الفروق كالحسام والصارم ونحوهما قد كثر استعمالها مكان موصوفاتها حتى استغني بها عنها، فجرت مجرى الجوامد في إهمال الفروق وعدم النظر إليها، مع التسليم بأن بعض الألفاظ لا تزال تحمل فروقا معنوية، لكن القائلين بهذا الرأي بالغوا.

ومن المحدثين الذين أيدوا وجود الترادف إبراهيم أنيس، وصبحي الصالح، الذي يعد الترادف من أهم العوامل في توسع العربية وغناها في الألفاظ، كذلك الدكتور رمضان عبد التواب، وأحمد مختار عمر، وكمال بشر، يعترف به في العربية لكن بشروط محددة.

---

[13] انظر: وافي، *فقه اللغة*، 163; علي عبد الواحد وافي، *علم اللغة*، 9 ط (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004)، 260; عبد الغفار حامد هلال، *علم اللغة بين القديم والحديث*، 2 ط (مصر: المؤلف، 1986)، 305.

[14] محمد مبارك, *فقه اللغة وخصائص العربية* (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, 1944), 318–321.

2 أسباب الترادف

2.1 اختلاف اللغات واللهجات

لقد دخل العربية بعد الإسلام خاصة كثير من الألفاظ الأعجمية أو ما يعرف بالمعرّب والدخيل، ربما للحاجة إلى تلك الألفاظ في مجال العلوم والفنون مثلا أو إعجابا باللغة التي أخذت منها تلك الألفاظ، أو لسهولتها، من الفارسية والرومية وغيرها من اللغات، من هذه الألفاظ النرجس والمسك، مع وجود ما يقابلها في العربية وهما العبهر والمشموم، فدعا ذلك إلى ظهور الترادف.

ومن جهة اللهجات أيضا يمكن أن نقول القول نفسه، فقد انتقلت ألفاظ كثيرة من اللهجات العربية إلى لهجة قريش، بسبب التجارة والاختلاط بين تلك القبائل، حيث إن هناك الكثير من الفروق والاختلافات فيما بين اللهجات في نطق الكلمة والاسم للمسمى الواحد، وهذا المسمى له لفظ يدل عليه لدى قريش، وهي ليست بحاجته، فأخذت ألفاظا أخرى وأضافتها إلى لهجتها، فنشأ الترادف في الأسماء والصفات للمسمى الواحد، ويمكن أن يكون اللفظ مستخدما بمعنى مختلف عن المعنى المستخدم لدى القبيلة الأخرى، مثل كلمة وثب، فهو عند حمير بمعنى قعد، فهاتان اللفظتان مترادفتان عندها.

2.2 جامعو المعجمات والمدونون

لشدة حرص العلماء في تدوين المعجمات فقد دونوا كل كبيرة وصغيرة، لم يتركوا أي مفردة تفوتهم، فلربما تكون مفردة قد تركت وهجرت، واستبدل بها غيرها، مما أدى إلى الترادف.

2.3 المجاز

والمجاز من أهم ما يميز العربية، فقد تستخدم كلمة بمعنى من المعاني مجازا، ومع طول الوقت ينسى أنها تستخدم مجازا وتصبح تدل على ذلك المعنى حقيقة، فيظنها السامع حقيقة مع وجود مرادفها فينشأ الترادف، مثل كلمة لسان ولغة، وعين وجاسوس، فأتى واضعو المعاجم ودونوا ذلك دون الانتباه إلى المعنى الحقيقي لهذا اللفظ والمعنى المجازي.

2.4 تناسي الصفات والفروق

من المعلوم أن لكل مسمى صفة لحالة من أحواله، بل صفات، ومع مرور الوقت ولكثرة الاستخدام أصبحت تدل على ذلك المسمى فننسى أنها صفة وننسى الفوارق بين تلك الصفات فتصبح مترادفات، لكنها في الأصل صفات، وهذه أغلب المترادفات الموجودة في العربية فالهندي والحسام

واليماني والقاطع والصارم والصقيل صفات للسيف تدل على فروق بينها يختلف عن الآخر، والليث والباسل من صفات الأسد لكل منها معنى مختلف عن الآخر.[15]

2.5 هناك الكثير من الألفاظ التي ليست في الحقيقة من المترادفات، حيث يدل كل واحد منها على شيء أو حدث لكن يوجد شيء من الاختلاف، مثل كلمة لحظ ورمق وحدج ورنا، يدل كل فعل من هذه الأفعال على النظر باختلاف الحالة، فلحظ يدل على النظر من جانب الأذن، ورمق يدل على النظر بكل العين، حدج أي نظر إليه بحدة، ورنا يدل على استمرار النظر مع سكون.[16]

2.6 التصحيف والتحريف

عندما كان الخط العربي خاليا من الإعجام والتشكيل، صار هناك كلمات قُرئت بغير ما كتبت عليه فنشأ الترادف، وهذا حاصل في الكتب القديمة.[17]

2.7 التغير الصوتي والقلب المكاني

للعوامل الصوتية أثر في اختلاف اللفظ وتحوله من حال إلى آخر، بحيث يصبح نتيجة للتغير الصوتي لفظين بعد أن كان واحدا. ومن ذلك قولهم: بغداد وبغدان ومغدان، كذلك ما يكون عن طريق القلب المكاني للأصوات، وحلول بعضها على بعض، كما في جذب وجبذ.[18]

3 فائدة الترادف

أ. يفيد الترادف في توسعة الأدوات والمفردات على الشاعر أو الأديب، يساعده أكثر في التعبير عن مكنونات النفس، بل يعطي جمالية لا مثيل لها في الأداء اللغوي، فيحكى عن أحد الأذكياء أنه كان ألثغ أي لا يستطيع نطق حرف الراء، وكان الناس يحاولون إحراجه، ليتكلم كلمات تحتوي حرف الراء، فكان يتخلص من الموقف بذكاء خارق بواسطة الترادف.

ب. من المترادفات ألفاظ لها خاصية جميلة وهي الدلالة على المعاني، وهذه الخاصية تنفرد بها العربية، يسميها عثمان أمين خاصية التلوين الداخلي، وكأنك ترسم للشيء الواحد صورا عقلية عديدة تختصر عليك ذكر جملة طويلة.

وهذا أجمل ما في الترادف ويدل على هذه الميزة، تصف بعض المترادفات المعنى بأشكاله وحالاته المختلفة، فكلمة الظمأ تدل على اشتداد العطش، والصدى تدل على شدة العطش، فحين تشعر

---

[15] انظر: السيوطي، *المزهر*، 409–410.
[16] انظر: وافي، *فقه اللغة*، 174.
[17] انظر: يعقوب، *فقه اللغة العربية وخصائصها*، 176–177; محمد علي بلاسي، "اللسان العربي"، *أسباب الترادف*، 1989، 106–107.
[18] انظر: هلال، *علم اللغة*، 300; ابن جني، *الخصائص*; بلاسي، "اللسان العربي"، 106.

بالحاجة للماء تعطش ثم يشتد عطشك فتظمأ فيشتد أكثر فتصدى فأكثر فتؤوم فأكثر فتهيم، وإذا قنا إن فلانا عطشان، فسنفهم أنه يحتاج إلى ماء فقط، أما إذا استخدمنا كلمة إنه هائم فقد عرف السامع أنه قد وصل من العطش إلى حد التهلكة.

وإذا أردنا أن نجرب هذا على اللغات الأخرى مثل الفرنسية، سنلاحظ دقة العربية في هذا، فمثلا الفرنسي يؤدي هذا المعنى في ثلاث كلمات يقول: (مات من الظمأ Il est mort de soif)، أو في سبع كلمات ليكون المعنى أوضح فيقول: (على وشك أن يموت من الظمأ Sur le point de mourir de soif وهذا يجعل الكلمة في العربية تدل على جملة بأكلمها.[19]

ج. التوسع والاستفاضة في التعبير عن مكنونات النفس، والتوسع في طرق الفصاحة، وفي نظر الشعر والنثر، لجميل الكلام وترصيعه بألفاظ مثل السجع والقافية والتجنيس والترصيع.

خلاصة القول

اللغة العربية ولادة، ولا ينكر ذلك عاقل، ولادة بأساليبها ومفرداتها، متجددة مع نبض الحياة، واسعة كالبحر، لا يحيط بها إلا نبي، لذلك فليس غريبا إذن أن نجد الباحث كريناان يشعر بالدهشة والحيرة حين ينقل عن الأستاذ دوهامر أنه جمع أكثر من 5644 لفظا لكل ما يختص بالجمل وصفاته وأسمائه، وكل ما يتعلق بشؤونه، فالجمل رفيق العربي في أسفاره وهو الحيوان الوحيد الذي لا يستطيع الاستغناء عنه في الصحراء هذه الأسماء الكثيرة تصف الجمل في كل أحواله في حسنه وقلة لحمه وفي المرعى وسيره.[20]

وتأخذك الدهشة في العربية حين تجد تعبيرا يدل على الصوت بكل حالاته، حين يكون عاليا أو منخفضا، فكما يقول الثعالبي صوت الإنسان الخفي همس، وصوت الماء خرير، وإذا كان في مكان ضيق فقيق، وفي الجرة بقبة، وإذا أخرج من الآنية قرقة.

ومما سبق نستطيع أن نقول: إن الترادف موجود في القرآن الكريم، حيث نزل بلغة قريش العالية، وجرى على سنن العرب في كلامها، ولغة قريش كتب لها بطول الاختلاط أن تأخذ من اللغات الأخرى مفردات ليست موجودة عندها، فأصبحت من مفرداتها، فجاء القرآن الكريم واستخدم تلك المفردات التي أخذتها قريش أو مفرداتها الأساسية، فانظر معي إلى ترادف أقسم وحلف في قول الله تعالى (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوت)،[21] وقوله:(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا

[19] انظر: هلال، *علم اللغة*، 298.
[20] انظر: الصالح، *دراسات في فقه اللغة*، 293.
[21] النحل/38.

كلمة الكفر)،[22] وكلمتي بعث وأرسل في قوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)[23] وقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[24]. وكلمتي فَضَّلَ وآثَرَ في قوله: (تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض)،[25]، وقوله: (تالله لقد آثرك الله علينا).[26] فقريش لها مفرداتها الخاصة بها، من إحدى اللفظتين السابقتين، وبسبب اختلاطها واحتكاكها بالقبائل الأخرى، جاءها اللفظ الآخر، لذا يتوجب علينا أن نعترف بالترادف في العربية، مع عدم إهمال الفروق اللغوية الدقيقة بين المفردات المترادفات.

وفي هذا المقام، هناك قصة أجمعت الكتب على روايتها، تظهر الفروق اللغوية بين القبائل، وإن كان فيها شيء من المبالغة أو عدم صحتها، لكن يمكن أن يكون فيها شيء من الصحة، والقصة هي: "فقد خرج رجل من بني كلاب أو من بني عامر بن صعصعة إلى ذي جدن من ملوك اليمن فاطلع إلى سطح والملك عليه، فلما رآه الملك قال له: ثِبْ، يريد (اقعُد)، فقال الرجل: ليعلم الملك أني سامع مطيع، ثم وثب من السطح ودُقَّت عنقه. فقال الملك: ما شأنه؟ فقالوا له: أبيت اللعن، إن الوثب في كلام نزار الطمر أي الوثب إلى أسفل. فقال الملك: ليست عربيتنا كعربيتهم، من دخل ظَفار حَمَّر أي من دخل مدينتنا اليمنية ظفار فعليه أن يتكلم بلهجة حمير".[27]

والذي يلفت الانتباه أيضا ما ذكره الشيخ صبحي الصالح أن استخدامنا للمفردة يعطيها حياة، فيجعلها تلد من المعاني ما بقيت حية في ألسنة الناس، يقول: "القاعدة في فقه اللغات تقول بوجه عام أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات، لأن كثرة الاستعمال لا بد أن تخلق كلمات جديدة تلبي مطالب الحياة والأحياء".[28]

وأخيرا، يرى الباحث أن الترادف الذي يقع في معنى معين فلا ضير فيه للعامة من الناس والذين يتعلمون اللغة في عصرنا من الأجانب، ولكن على المختصين والمتبحرين في اللغة أن يعرفوا دقائق الكلمات وأن معنى هذه المفردة مختلف عن الأخرى ولو كان اختلافا طفيفا، ونوصي بوجوب إبعاد العامة والمبتدئين في تعلم اللغة عن ذكر الترادف وكثرة المعاني للفظ واحد، لكن يمكننا التوسع في تدريسهم الترادف في المراحل المتقدمة.

النتائج

---

[22] التوبة/74.
[23] الإسراء/15.
[24] الأنبياء/107.
[25] البقرة/253.
[26] يوسف/91.
[27] الصالح، *دراسات في فقه اللغة*، 300.
[28] الصالح، *دراسات في فقه اللغة*، 293.

لعل من أهم النتائج التي وصلنا إليها:

1. الترادف عامل مهم في توسع العربية وغناها من الجانب الدلالي والمعاني.
2. الترادف حالة طبيعية للغة يمكن أن يكون في أية لغة غنية بالمفردات.
3. يمكن استخدام الترادف واستثماره في تعليم العربية لطلابها الأصليين وللناطقين بغيرها.

يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1982.

References

Al-quran al-karim

Al-saaliha, subhi, dirasat fi fiqh allughati, bayrut, dar aleilm lilmalayini, ta3, 2009.

Al-suyuti, jalal aldiyn eabd alrahman, almuzhar fi eulum allughat wa'anwaeuha, tahqiq fuad mansur, bayrut, dar alkutub aleilmiati, ta1, 1998.

Al-thaealibi, eabd almalik bim muhamad, fiqh allughat wa'asrar alearabiati, 'iihya' alturath alearabii, ta1, 2002.

Blasi, muhamad ealay, allisan alearabiu, 'asbab altaradf, 1989.

Hilali, eabd alghafaar hamid, ealm allughat bayn alqadim walhadithi, masr, ta2, 1986.

Ibn faris, 'ahmadu, alsaahibii fi fiqh allughat alearabiat wamasayiliha wasunan alearab fi kalamiha, bayrut, dar alkutub aleilmiati, ta1, 1997.

Ibn jini, 'abu alfath euthmani, alkhasayisi, masira, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, ta4, da.t.

Mubarak, muhamad, fiqh allughat wakhasayis alearabiati, dar alfikri, dimashqa, ta2, 1994.

Wafi, eali eabd alwahidi, ealm allughati, alqahirata, dar nahdat masri, ta9, 2004.

Yaequba, 'iimil bidie, fiqh allughat alearabiat wakhasayisuha, bayrut, dar aleilm lilmalayini, ta1, 1982.